شبهات وردود

حديث ذات انواط

د.ماجد كارم

الحمد لله الذي يقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وأوضح من الحُجج والبراهين ماقامت به حُجته علي جميع المكلفين من الخلائق ، أحمده سبحانه وأستعين به علي قمع كل منافق ومشرك مارق ، وأشكره علي مامنَّ به من إدحاض الباطل وأهله من كل معاند للحق ومشاقق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة مخلص لله صادق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأهدي السنن وأقوم الطرائق ، صلَّ الله عليه وعلي آله وأصحابه ذوي المناقب والسوابق ، وسلم تسليماً كثيراً .

أسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا عملاً مقبولاً ، وسعياً مشكوراً ، وجهداً في سبيله ميموناً ، وقد قال الرسول الكريم ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى" فهذا جهد العبد الفقير أتقرب به إلى الله تعالى ، وقد علم ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ لكنه رب المستضعفين ، ماذا فقد من وجده ؟ ، وماذا وجد من فقد عونه وتوفيقه وتأييده ؟ ، فالله أسأل منه العون والمدد ، وأرجوه التوفيق والسداد والرشاد ، وأدعوه أن يبارك فيه ويجعله منارة هدى على طريق الدعوة ، ويتقبل ما فيه من إحسان ، ويتجاوز عما فيه من هفوات أو زلات ؛ فلا معصوم إلا رسوله الكريم ﷺ ، ولا عاصم إلا الله ، ولذا فما في هذا العمل من خير فمن الله ، وما فيه من سوء فمن نفسي ومن الشيطان ، وأنا استغفر الله العظيم من كل ذنب و سوء ، والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين.

فيا أيها القارئ لك غنم ما في رسالتي وعلينا الغرم ولك ثمرتها وعلينا تبعتها فما وجدت فيها من صواب وحق فاقبله ولا تلتفت الي قائله بل انظر الي ما قال لا إلي من قال واعلم أن الله تعالي قد ذم من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه ويقبله إذا قاله من يحبه وقد قال بعض الصحابة: (إقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً ورد الباطل علي من قاله وإن كان حبيباً) فإن وجدت من خطأ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة ويأبي الله إلا أن يتفرد بالكمال.والنقص في أصل الطبيعة كامن فكيف يعصم من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً ، ولكن من عدَّت غلطاته أقرب الي الصواب ممن عدَّت إصابته.

وأنا أتمثل هنا قول نفيس لإبن الوزير حيث قال: (وقد قصدت وجه الله في الذب عن السنن النبويه والقواعد الدينيه ، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة علي مابي من التقصير ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير لاعترافي بأني لست من فرسان هذا الميدان ، لكني لم أجد من الأصحاب من تصدي لهذا الباب فتصديت لذلك من غير إعجاب ، ومن عدم الماء تيمم بالتراب ، وأنا أعلم أني لو كنت باري قوسها ونبالها وعنترة فوارسها ونزالها فلن يخلوا كلامي من الخطأ عند الإنتقاد ولايصفو جوابي من الكدر عند النقاد ، فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم ومن شهد بعصمته القرآن الكريم وكل كلام بعد ذلك فخطأ وصواب وقشر ولباب ولو أن العلماء تركوا الذب عن الحق خوفاً من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيراً وخافوا حقيراً ، وأن أخطئ فمن ذا الذي عصم ؟ والقاصد لوجه الله تعالي لا يخاف أن ينقد عليه خلل في كلامه بل يحب الحق من حيث أتاه ويقبل الهدي ممن أهداه ، بل المخاشنة بالحق والنصيحة أحب إليَّ من المداهنة علي الاقوال القبيحه ، وصديقك من صدقك لا من صدَّقك).اهـ

حديث ذات أنواط

من الأحاديث التي تعد مطمعاً لكل صاحب هوى، لذا كان واجباً علينا أن نلقى الضوء على بعض الأمور التي وردت بالحديث متجردين من وجهات النظر الخاصة، والتى ربَّما لو وضحت لما أصبح الحديث مطمعاً لكل زائغ ولا بغية لكل مضل.

- وحديث ذات أنواط إذا سَلَّمْنا بصحة ثبوته، لم يَسْلَمْ لأحد دلالته في أنَّه طلبٌ من الصحابة للشرك، ولكن الكلُ يحاول أن يستخرج من الحديث بغيته.

- فالبعض يحلو له أن يوجه الحديث كدليل يعذر به مرتكب الشرك الأكبر:

- حيث يرى أنَّ الصحابة قد طلبوه ثم أنَّ الرسول وإن شدد عليهم فإنَّه عذرهم ولم يكفرهم وكل هذا يستنبطه هو حسب رؤيته ونظره الشخصى في الحديث، بالرغم من أنَّه حتى هذه لا تخلص لأحد، فليس في متون الحديث التي ذكرها الرواة رواية صريحة تفيد أنَّه كفَّرهم أو تفيد أنَّه لم يكفرهم، ذلك لأن الأمر لم يصل إلى الشرك أصلاً كما سنبيّنهُ، وتغليظ الرسول عليهم بقوله في رواية أبي واقد عند الترمذى: **(الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة).**

وبقوله في رواية الْمُزَنِيِّ عند الطبرانى:

(إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، فَقَالَ: أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا، وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ).

- وكلتا الروايتين والتي بنى عليهما من ذهب لتكفيرهم بهذا الطلب ما بناه ليست قطعية في إثبات أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كفَّرهم به.

- فالكاف في لغة العرب تفيد التشبيه وليس المماثلة إلَّا إذا كان ما بعدها فيه تصريحاً بتمام المشابهة، وهو ما أشار إليه ابن تيمية رحمه الله بقوله التشبه المطلق في اقتضاء الصراط المستقيم عند كلامه عن التشبه بالمشركين وذكر أنَّه يوجب الكفر.

- وإلى نفس هذا الفهم من الحديث ذهب الشاطبى عندما قال: «فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا . . . الْحَدِيثَ.

فَإِنَّ اتِّخَاذَ ذَاتِ أَنْوَاطٍ يُشْبِهُ اتِّخَاذَ الْآلِهَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، لَا أَنَّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فَلِذَلِكَ لَا يَلْزَمُ الِاعْتِبَارُ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

- ووجه الشبه بين قول صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقول أصحاب موسى عليه السلام في طلب مشابهة المشركين هو أنَّ كلاهما يُعدُّ طلباً لمشابهة المشركين في عبادة يفعلونها، وأنَّ هذا الطلب كان طلباً ممن يقِرُّون له بحق التشريع لهم بلاغاً عن ربّه.

- ولكنَّ طلب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يشبه طلب أصحاب موسى عليه السلام تماماً وليس هو نفسه، فطلب أصحاب موسى -حتى وإن كان ممن له حق التشريع لهم بلاغاً عن ربّه- طلبهم منه بمجرد رؤيتهم للمشركين عاكفين على آلهة لهم أن يجعل لهم إلهاً كما لهم ألهه وهذا يدل على أنَّهم اعتقدوا وقتها جواز إتخاذ آلهة مع الله وهذا شركٌ بيّن، ولذلك قال لهم موسى عليه السلام كما ذكره سبحانه:
" **قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** (١٤٠)"الأعراف، فكان طلبهم وإن كان من رسولهم إلَّا أنَّه طلب ينقض توحيدهم للألوهية بلا شك.

- أمَّا طلب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منه حيث هم يعرفون ويقِرُّون بأنَّ له حق التشريع بلاغاً عن ربّه، طلبهم منه بمجرد رؤيتهم ذات أنواط كان أن يجعل لهم شجرة مثلها يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم طلباً للبركة ،والتي إن وافقه ربُّه فشرع لهم ذلك ستكون تلك البركة مستمدة من مباركة الله لها، وغاية ذلك أنَّهم طلبوا منسكاً من الوجهة التي يمكن طلبه منها.

- وهذا الأمر بمجرده ليس فيه شركاً أكبر أو حتى أصغر، وإن كان تقديماً بين يدى الله ورسوله في طلب نسك لمجرد رؤية نسكاً مشابهاً يقوم به المشركين لألهتهم، فهم مثلاً لم يذهبوا ويتخذوا من تلقاء أنفسهم شجرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم، حيث هم يعرفون أنَّهُ لا يمكن إلتماس البركة من شجر أو حجر أو غيره إلَّا أن يباركها الله ويجعلها منسكاً لهم فيتبرَّكوا به مثل الحجر الأسود حيث نسك تقبيله أولمسه أوالإشارة إليه عند الطواف وماء زمزم الذى نسك الشرب منه والإكثار منه بقدر المستطاع.

- كما أنَّهم تبرأوا من ألهة المشركين التي يعبدونها ويظنون أنَّ لها تصرفاً في ملك الله فهى تمنح البركة لمثل هذه الأشياء، فلما كانو يعلمون ذلك جيداً طلبوا ما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حيث هو الصلة بينهم وبين ربهم بما يُوحَى إليه، فعلم من ذلك الطلب ذاته أنَّهم يقِرُّون أن البركة ليس لها مصدرٌ إلَّا من الله، كما أنَّ التشريع لهم لا يكون إلَّا عن طريق رسوله فطلبوها منه، فكيف يدَّعى عليهم مدعٍ أنَّهم أشركوا بذلك شركاً أكبر أو أصغر!!!.

- ولكن سداً لذريعة طلب التشبه بالمشركين كلَّما رأوهم يقدِّمون عبادة لألهتهم بمثيلتها وإن قدمت لله كان التغليظ من رسول الله عليهم كما ورد فى الحديث، ولبيان ما يمكن أن يفضى إليه التشبه بالمشركين في تلك العبادات، كان مثال أصحاب موسى الذى ضربه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وإلى نفس هذا المعنى ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية عندما علَّق على هذا الحديث في إقتضاء الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ١١٧ بقوله:
(ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم» فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم.فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟) أ.هـ

- ومثال ذلك كثير في سد ذريعة مشابهة المشركين في عبادة يقدمونها لألهتهم، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه(١٣٧٤/٢٧٨/٤) من حديث **عَمْرِو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ** وفيه:
(فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ أَخْبِرْنِي عَنْ الصَّلَاةِ قَالَ صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّار).

ومعلوم أنَّ المسلم حين يسجد حتى حين تطلع الشمس إنَّما يسجد لله ولكن سداً لذريعة التشبه بالمشركين في عبادة يقدمونها لألهتهم التي يعبدون من دون الله، والتي قد تفضى إذا طال على الناس الأمد إلى عبادة تلك الألهة نفسها كما فعل قوم نوح، لذا كان هدى الرسول في الأمر بمخالفة المشركين والتحذير من التشبه بهم فيما يختصون به عموما وفى عباداتهم خصوصاً.

- والبعض يوجه الحديث كطلبٍ للشرك ولكنه يعتبر أنَّهُ كان شركاً أصغر:

وعلة ذلك حسب ما يراه أنَّه كان طلباً لإتخاذ شجرة تكون سبباً تحصل به البركة وليس إلتماساً مباشراً للبركة من الشجرة نفسها، ولا أدرى من ذهب إلى مثل هذا التقسيم كيف سيفسر قول الله على لسان المشركين:

"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)" الزمر

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره:

(حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:" **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** " قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا، إلا ليشفعُوا لنا عند الله.) أ.هـ

- فواضحٌ أنَّهم ما قدَّموا لهم العبادات إلَّا ليكونوا سبباً ليشفعوا لهم عند الله، فهم لم يعبدوهم لإلتماس الشفاعة منهم مباشرة، ومع ذلك ذكر الله عزَّوجلَّ كفرهم بذلك في كلام صريح فقال: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**".

والبعض يوجه الحديث على أنَّه من البدع المكانية

وهذا قد أخطأ الطريق من أوَّله، إذ البدع المكانية لا تكون في عبادة تقدم للأوثان، بل تكون لعبادة يقصد بها الشخص أن تكون لله ولكنه خص بها مكاناً أوبقعه لم يخصها الشارع بتلك العبادة وإنَّما كانت من مجرد إستحسانه لذلك.

وعلى هذا يُفهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية، أو جبلا، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا.) أ.هـ

- والبعض الآخر يوجِّه الحديث كطلب للتشبه بالمشركين:

ويرى أن مشابهة المشركين في الأعمال المخالفة لشريعة المسلمين التي يعملونها، لها أحكاماً مختلفة بالقدرالمشترك الذى شابههم فيه، وإن كانت مجرد مشابهتهم في تلك الأعمال حرام في جميع الأحوال إلَّا أن بعضها أعظم من بعض، فمشابهتهم في الكفر أوالشرك غيرمشابهتهم في الحرام وغير مشابهتهم في المعاصى وهكذا.

- ومن ذلك ما ذكره **ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم جـ ١ صـ (٢١٥-٢١٣) :**
(وأيضا ما هو صريح في الدلالة ما روى أبو داود في سننه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو النضر يعني هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن ثابت حدثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من تشبه بقوم فهو منهم»
وهذا إسناد جيد فإن ابن أبي شيبة وأبا النضر وحسان هم من رجال الصحيحين......ثم ذكر في باقى رجال السند قوله: ليس به بأس وهو ثقة وقال في آخر: هو مستقيم الحديث...إلى أن قال وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث.

ثم قال: وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة.

فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه فإن كان كفرا، أو معصية، أو شعارا لها كان حكمه كذلك.
وبكل حال يقتضي تحريم التشبه بعلة كونه تشبها) أ.هـ

....

حديث ذات أنواط

احتج من يري العذر بالجهل بهذا الحديث ، وقالوا : بأن الصحابة قد ارتكبوا شركا أكبر وعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم بجهلهم ولم يكفرهم.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول :

-أن ما طلبه الصحابة ليس من الشرك الأكبر بل هو من قبيل مشابهة المشركين، والمشابهة للكفار لا تقتضي كفر المشابه لهم في كل الأحوال.

ـ يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

(ولما كان للمشركين شجرة يعلقون بها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس : ((يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم) فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذهم شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم ..)[اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٣١٤].

ـ يقول الشاطبي ـ :

(فإن اتخاذ ذات أنواط يشبهه اتخاذ الآلهة من دون الله لا أنه هو نفسه) [الاعتصام الشاطبي ج ٢ / ٢٤٥].

ـ ويقول السيوطي :

(ومن البدع أيضا ما قد عم الابتلاء به تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بما ليس عليهم، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم متقربون بذلك؛ ثم يتجاوزون في ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاء وقضاء الحوائج بالنذر لها، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعامود وما أشبه ذلك بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها أسلحتهم، ويعلفون عندها، ويذبحون لها،...

وفي رواية أخري : (خرجنا مع رسول الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثوا عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها، وينيطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا " ذات أنواط "كما لهم " ذات أنواط " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله الله أكبر !! "كما قال قوم موسي لموسي : " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة " قال : " والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم " فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ج ١ / ٩ .

الوجه الثاني :

مما يدل على أن الصحابة لم يطلبوا شركا أنهم عرب أقحاح يفهمون اللغة والمعاني ويعرفون ماذا يريد منهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد دعاهم قبل ذلك، ويعرفون أن جعل إله آخر مع الله هو دينهم السابق، الذي كانوا عليه، وتركوه عن علم، فكيف يطلبون آلهة أخري وقد تركوها .
فإن قيل كيف تقولون بأن ما صدر من الصحابة ليس من قبيل الشرك الأكبر، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : ((قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل ....))

فالجواب عن ذلك :
أن ذلك من قبيل الاستدلال بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر كما قال حذيفة لما رأي رجلا في عضده خيط : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } وأن ذلك من باب ما يؤول إليه الأمر، ومن باب التغليظ كما في قوله صلى الله عليه وسلم للذي قال له : ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم : " أجعلتني لله ندا " .

....

الوجه الثالث .

أن المشبه يشبه المشبه به في بعض الأوجه دون بقيتها كما في قوله تعالى : { كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها } وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)).

ومعلوم أن ثواب فاعل هذه الأشياء لم يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء، ولو كان قدر الثواب سواءً لمصلي العشاء والفجر، لم يكن لمصلي العشاء والفجر في جماعة في قيام الليل منفعة، غير التعب والنصب، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((مدمن الخمر كعابد وثن)).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

(ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه) اهـ [الداء والدواء ص : ١٨١].

فطلب الصحابة مشابه لطلب بني إسرائيل، في أن كلا منهما طلب أمر لا يجوز شرعا؛ إلا أن طلب بني إسرائيل في الشرك الأكبر، وطلب الصحابة هو في مشابهة المشركين .

أما من يقول (وأما الادعاء أن المشبه به غير المشبه، فيكفي في دفع ذلك أن يقال نعم هذا العمل ليس هو عين قول بني إسرائيل ولكنه من جنسه)

فالجواب عليه :

أنه إن كان يقصد بقوله (ولكنه من جنسه) أن كلا منهما شرك أكبر، فهذا قول باطل، وقد قدمنا الدليل على بطلانه.وإن كان يقصد بذلك أنه من جنسه أي في أن كلا منهما لا يجوز طلبه فهذا صحيح.

الصحابة لم يطلبوا شركا، ولا طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم بما كان يفعله المشركون، من عبادة غير الله.فمن المحال أن يطلبوا ذلك كيف وقد كان أول ما يسمعه الواحد منهم قبل إسلامه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصل دينه الذي يدعوا إليه، هو البراءة من عبادة غير الله واجتناب الشرك بكل أنواعه، والسعي في هدمه، وإخراج الناس منه. فهل يعقل مع هذا أن يتجرؤوا على طلب الشرك الصراح منه بعد إسلامهم، ومعرفتهم للتوحيد.

فإن الكفار والمشركين أنفسهم، كانوا يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يرضي بالشرك، وأن دينه لا يأذن به، وقد أخبر الله عنهم بأنهم يقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم : { أجعل الآلهة إلها واحدا } ...

إلى أن يقول :

(وإنما طلبوا أن يجعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم شجرة ينيطون ويعلقون بها أسلحتهم ، تبركا بذلك ظنا منهم أن ذلك مما يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم فعله، وأنه مما أذن الله له فيه، كما كانوا يتبركون بآثاره في حياته فلا ينكر عليهم، وكما أجاز لهم تقبيل الحجر الأسود) اهـ

وأما من يقول (وسياق الحديث يدل على أن هذه الجماعة طلبت شجرة تعكف حولها، وتتبرك بها، كما يفعل المشركون، وهذا شرك، ففي الحديث أنهم حدثاء عهد بكفر، وهذا يرجح أنهم فهموا من هذا الذي قال المصطفي ـ وهم العرب الأقحاح ـ أن هذا الطلب شرك، وإلا فما معني قولهم ونحن حدثاء عهد بكفر)

فنقول ردآ عليه :

بل إن سياق الحديث يدل على أن الصحابة إنما طلبوا مجرد تعليق السلاح؛ لأنهم قالوا : (اجعل لنا ذات أنواط) وذات أنواط جمع نوط وهو مصدر ناطه أي علقه.

قال صاحب لسان العرب : (ناط الشيء ينوطه نوطا علقه) [اللسان ج ٧ / ٤١٨].

وقال الملا على القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :

(اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، أي شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا) اهـ [مرقاة المفاتيح ج ١٥ / ٣٨٣].

٢ ـ أما من يقول أن ما طلبه بعض الصحابة شرك بناء على قولهم : (حدثاء عهد بكفر).

فكلمة حدثاء عهد بكفر تعني أنهم يخفي عليهم كثير من تفاصيل الدين، ولا تعني بالضرورة أن ما صدر منهم كفر ولا شرك.

في صحيح البخاري (٥١٨٨) عن عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال : ((سموا عليه أنتم وكلوه)) قالت : وكانوا حديثوا عهد بالكفر)) .

فهل يفهم من هذا أن ترك التسمية على الطعام كفر لأنها عللت ترك القوم لذلك لكونهم حدثاء عهد بكفر.

بل ولو سلم انهم طلبوها للتبرك فان التبرك ليس كله من الشرك الاكبر لان التبرك مشروع بما جعل الله فيه البركة كجسد النبي صلي الله عليه وسلم واما التبرك بالشئ الذي لم يرد ان الله جعله كذلك واعتقاد ان هذا الشئ جعله الله مبارك فهذا شرك اصغر الا ان اعتقدوا انه يتبرك به لذاته لا لكون الله جعل فيه البركه فلو سلم اذا جدلا بذلك لكان طلب الصحابة هو طلب ان يجعل الله لهم البركة في الشجرة ليتبركوا بها وهذا الطلب كان من النبي صلي الله عليه وسلم وفي حياته حال نزول الاحكام فلا يكون اذا لا اصغر ولا اكبر لانهم لم يتبركوا ولم يعتقدوا فيها البركة بل طلبوا من النبي صلي الله عليه وسلم شئ فمنعهم فامتنعوا ولكن هذا الشئ كان فيه مشابهة للمشركين في فعلهم فانكر النبي صلي الله عليه وسلم طلبهم مشابهة المشركين ، والله اعلم

هذا ان سلم بصحة الحديث حيث من علماء الحديث من ضعفة بل هذا هو الظاهر من اسانيده والله اعلم

حيث ورد باسنادين

١- إسناد سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي .
٢- إسناد كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده .

واسناد :((حديث كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده ، قال الشافعي هذا إسناد الكذب ، فإذا ما علمنا أن هذا السند متهم في وضع الحديث)))

والاسناد الثاني عن سنان بن أبي سنان ، وهو مجهول جهالة حال كما قال العقيلي عندما روى حديث(السواك يزيد الرجل فصاحة) فقال العقيلي:(حديث عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان ، مجهول كشيخه ، والحديث منكر.)أ هـ.

وقول العقيلي هذا هو معتبر لعدة أسباب :
الأول: أن سنان بن أبي سنان قد تبين أمر جهالته هذا بسبب أن الراوي عنه هو تلميذ واحد الذي هو الزهري فقد روى عنه حديث(لاعدوى ولاطيرة) وحديث (الأعرابي الذي أستل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وحديث (ذات أنواط).
قال المناوي في فيض القدير :عندما أورد حديث (السواك يزيد الرجل فصاحة) ،
قال:(هو من حديث عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة ، قال ابن الجوزي حديث لا أصل له ، وعمر وسنان قال العقيلي: مجهولان ، والحديث منكر غير محفوظ ، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عمر بن داود ، وقال مجهول كشيخه)أ هـ قلت : شيخه هو سنان بن أبي سنان يروي عنه وليس له إلا هذا الطريق .

وذكر علي بن عراق - صاحب كتاب تنزيه الشريعة- حديث (من كانت في بيته شاة كانت في بيته بركه ...)الحديث ، قال: (هو من حديث أبي هريرة فيه عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان وهما مجهولان وقال الذهبي في ميزان الإعتدال في ترجمة عمر بن داود ، قال عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة مرفوعاً السواك يزيد الرجل فصاحة ، قال العقيلي مجهول كشيخه والحديث منكر) أ هـ .

قال المزي في تهذيب الكمال عند ترجمة سنان بن أبي سنان(روى له البخاري ومسلم) ، قلت: روى له البخاري مقروناً بأبي سلمة في حديث جابر أخبر بأنه غزى مع الرسول صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد ، وحديث أبي هريرة لاعدوى ولا صفر ولا هامة، وكلا الحديثين رويا مقروناً مع أبو سلمة عبدالله بن عبدالرحمن وهو ثقة ، فالبخاري عول على أبي سلمة ، وسنان مقروناً معه ، والقاعدة عند أهل العلم أن البخاري إذا ذكر رجل مقروناً مع ثقة فهذا دليل على ضعفه ، لأنه لم يعتمده إستقلالاً ، وأما مسلم فذكر له كذلك حديث لاعدوى ولا صفر ولا هامة من حديث أبي سلمة ، وذكر سنان في الشواهد والمتابعات ، وحديث جابر غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد ، كذلك ذكره في المتابعات لأنه اعتمد على رواية أبي سلمة في الأصل . (وهذا دليل على أنه مجهول حال) ، لأن مسلم ذكر في المقدمة أنه يذكر المستور (المجهول حال) من باب التمييز والعلل والشواهد والمتابعات ، وهذا الذي يقال عنه من باب المتابعات والشواهد .

فائدة:

ولايوجد في البخاري ومسلم لسنان إلا هذين الحديثين وعلى المشهور إن سنان بن أبي سنان ليس له إلا تلميذ واحد ، وأن زيد بن أسلم ليس من تلاميذه بل من تلاميذ أبيه (يزيد بن أمية) كما ذكره البخاري في التاريخ في ترجمة سنان بن أبي سنان ورقمها (٢٣٣٨) ، وما ذكره المزي في تهذيب الكمال واتبعه على ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب أن زيد بن أسلم من تلاميذ سنان بن أبي سنان فهذا ليس بصحيح ، وإنما هو من تلاميذ أبيه كما تقدم ، فوقع الخلط بينه وبين أبيه، ودليل إنه لا يوجد إسناد لزيد بن أسلم يحدث فيه عن سنان بن أبي سنان / هذا من ناحية السند

وفي متنه ايضا علة وهي ، ، ،

ذكر البخاري في تاريخه الكبير في ترجمة الحارث بن عوف (قال البخاري هو مدني وشهد بدراً مع النبي صلى الله علي سلم) ، وذكر ابن الأثير الجزري في أسد الغابة في ترجمة الحارث ، أنه شهد بدرا ، وقيل لم يشهدها وقيل من مسلمة الفتح ، والصحيح أنه شهد الفتح مسلما ،ويعد في أهل المدينة ، وقال ابن حبان في كتاب الثقات في ترجمته ، أنه شهد بدرا عداده في أهل المدينة وقال كذلك ابن حبان في كتابه مشاهير علماء الأمصار في ترجمته ، كان ممن شهد بدرا ، وقال صلاح الدين الصفدي في كتابه الوافي في الوفيات في ترجمته ،(هو أبو واقد قديم الإسلام إنه شهد بدرا وكان معه لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر ، يوم الفتح ، وقيل إنه من مسلمة الفتح والأول أصح، عداده في أهل المدينة . انتهى

- وبهذا يعلم أن أبا واقد اللبثي من أهل المدينة ، هذا أولا ، وثانيا أنه ممن شهد بدرا مع النبي فبذلك يكون إسلامه قديما ، فقوله في حديث الترمذي كنا حديثي عهد بجاهلية هذه علة أخرى تقدح في متن الحديث

ومع ذلك كله :((فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله)) فهؤلاء لم يتمسكوا باية من كتاب الله متشابهة او بحديث صحيح ثابت متشابه بل بحديث لا يثبت سندا ومتنا وان ثبت فهو من المتشابه حيث هو ليس بحكم بل من القصص وقصص القران من المتشابة فكيف بالسنة فكيف بما لم يثبت منها فاما اهل الايمان والعلم فيتبعون المحكم ويردون اليه المتشابه واما اهل الكفر والعناد والزيغ فيتبعون ما تشابه وقد بين تفسيره ان ثبت وبيان ماطلبه الصحابة والله المستعان.

خاتمة

قال الله تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ، وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**) الأنعام: ١١٢ – ١١٣. فدلت هذه الآية على أنه لابد للحق الذي جاء به الأنبياء من أعداء من الإنس والجن لهم شبهات يزينونها ويزخرفونها ليصدوا عن سبيل الله ، وأن هذه سنة قدرية لابد أن تقع كما يدل عليه قوله تعالى (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) فإن (وَلَوْ) حرف امتناع لامتناع ، فدل على أنهم لابد أن يفعلوا ذلك لامتناع المشيئة بعدمه ، ثم ذكر المولى جل وعلا الحكمة من هذه السنة القدرية ، وهي أن الله جعل هذه الشبهات وهي (زُخْرُفَ الْقَوْلِ) فتنة للناس: أما المؤمن فلا يزداد بها إلا بصيرة في الحق ، وأما المنافق فيصغى لها ويرضى بها ولاتزيده إلا ضلالا (**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**). فإنه لا بد من المحنة والفتنة والاختبار في هذه الدنيا. كما قال تعالى (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**) العنكبوت: ٢ - ٣.

وهذه الشبهات نوع من الفتنة يختبر الله بها عباده ، ولهذا فإنها لن تنتهي ولن تنقطع مادامت هناك طائفة على الحق قائمة بأمر الله فلابد أن يوجد من يخالفها ويخذلها ، وستنشأ شبهات أخرى ، وفي الكتاب والسنة الرد على كل زائغ إلى يوم القيامة كما قال تعالى (**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**) الفرقان: ٣٣ ، ولايزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته.

وإن بعض هذه الشبهات أعجب كيف نشأت في ذهن صاحبها ولا أجد لها سببا إلا كما قال تعالى (**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**) الأنعام: ١١٢ ، وكما قال تعالى (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) الأنعام: ١٢١.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من مضلات الفتن ، وأن يثبتنا على دينه ، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة ، إنه على كل شيء قدير.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(واعلم أن الله سبحانه- من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً}**

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج كما قال تعالى: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}**

فإذا عرفتَ ذلك ، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالى: **{وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**

فالواجب عليك أن تعلم مِن دين الله ما يصير لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومُقَدَّمهم لربك عز وجل: **{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** ولكن إن أقبلت على الله ، وأصغيت إلى حجج الله وبيناته ، فلا تخف ولا تحزن: **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}**

والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين ، كما قال تعالى: **{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** فجنده هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تِبْيَانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويُبَيِّنُ بطلانها كما قال تعالى: **{وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}**. قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.) اهـ

د.ماجد كارم